كل لغة كوحدة مستقلة وتعرف أسباب تطورها الذاتية من غير نظر الى مؤثر خارجى.

وثانيهما — وهو التطبيقى — فإنه يعد كل لغة كجزء من مجموع اللغات ، فإذا تعرض لها ببحث أو دراسة ، رجع الى اللغات من حولها والعلاقات بينها وبين بعضها ، والتفت إلى الزمان والمكان ليعرف أثرهما فى ذلك اللقاح

ولكل لغة تاريخها الموغل فى القدم ، وهذا الماضى الحافل بالأحداث التاريخية لا يمكن لدارس أن يستغنى عنه إذا أراد أن يفهم خصائص هذه اللغة على المنهج السليم . كما أنه لا يمكن أن نفهم خصائص إنسان ما ، من غير رجوع الى ماضيه وأحداثه ، وكذلك أثر البيئة فى حياته .

الألفاظ الأيوبية فى كتاب «تقويم النديم»

للسيد الأستاذ محمد رضا الشبيبى عضو المجمع(١)

كتاب «تقويم النديم ، وعقبى النعيم المقيم» ، وبهذا الاسم ورد ذكره فى «كشف الظنون» وفى غيره من فهارس الكتب ، كتاب غير غريب عن المؤتمر ، فقد ورد ذكره فى معرض البحث عن المصطلحات الحرفية ، فى مؤتمر السنة الماضية ، وهو البحث الذى عالجه الأستاذ «ماسينيون» فى محاضرة لطيفة أشار فيها الى عناية بعض علماء الشرق بوضع معجم فى ألفاظ الحرف والصناعات ، وكانت لى كلمة فى التعقيب على المحاضرة قلت فيها إن أول من طرق هذا الباب أديب مصرى من أعلام القرن السابع ومن وزراء الدولة الأيوبية فى عصر الكامل بن الملك الصالح أيوب ، وهو الأمير فخر الدين يوسف بن حمويه الجوينى ، فى كتاب له سماه «تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم ،» ضمنه جملة صالحة من المصطلحات الحرفية الشائعة فى عصره . وما من شك أن الشربينى فى كتاب «هز القحوف» والشيخ قاسم الدمشقى فى معجمه نسجا على منوال فخر الدين بن حمويه ، فهو أقدم أديب عالج هذا الموضوع على كل حال ، وقد قلت فيما قلت فى تلك الجلسة إنى لعلى استعداد لإهداء نسختى التى ظفرت بها من الكتاب إلى مكتبة المجمع أو الى وزاره المعارف المصرية لأن مصر بهذا الكتاب أولى من العراق ، هذا ولما قفلت الى بلدى بعد انفضاض المؤتمر الماضى بعثت بالنسخة المذكورة فوراً الى الوزارة المشار اليها ضمن كتاب أرسلت نسخة منه الى مكتب المراقب الإدارى فى هذا المجمع . فوزارة المعارف هى التى تملك حق التصرف فى الكتاب الآن .

إلى هذا الحين كتب غير واحد من المعنيين بالبحث عن الأصول القديمة يرون أن نسختنا العراقية هى النسخة الوحيدة من هذا الكتاب ، بيد أنى ما زلت منذ نزلت القاهرة فى منتصف الشهر الماضى حتى

(١) بحث ألقى فى الجلسة الثامنة للمؤتمر (١٥ من يناير ١٩٥١) .

الأيام الأخيرة ، فى سبيل التنقيب عن أصول الكتاب فى دور الكتب هنا وهناك ، الى أن ظفرت بنسختين جديدتين ، توجد إحداهما فى دار الكتب ، والثانية وهى أقدم خطا وأدق ضبطا فى المكتبة الأزهرية ، وان كانت ناقصة قليلا ، ولعلها نسخت فى عصر المؤلف أو قريبا منه ، فهى أصل يعتمد عليه ، لأن كلا النسختين العراقية ، ونسخة دار الكتب ، سقيمة لا يوثق بكل ما جاء فيها ، وفيهما ما فيهما من المسخ والتحريف والتصحيف .

مؤلف الكتاب : مؤلف كتاب « تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم » ، سمو الأمير الصاحب فخر الدين يوسف بن صدر الدين محمد شيخ الشيوخ بن حمويه الجوينى ، من أعلام مصر فى صدر القرن السابع ، ووزير بنى أيوب ، ومقدم جيوشهم فى الملك الكامل وآل حمويه بيت مشهور يمت اليه عدد من الأعلام ، وحملة السيوف والأقلام ويراجع عن سيرة المؤلف وأهل بيته كتب التاريخ والطبقات بين أواخر القرن السادس وصدر القرن السابع ، وممن ترجم لمنشىء هذا الكتاب السبكى فى طبقاته وترجمته ضافية مستوفاة ، وابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة . وابن أبى شامة فى الذيل على الروضتين وجل المؤرخين المصريين والشاميين الذين عنوا بتاريخ الحروب التى دارت رحاها فى مصر بين الأيوبيين والفرنسيين فى منتصف القرن السابع وهى حروب طاحنة فى بعض وقائعها أسر ملك فرنسا وفى واقعة منها وقعت سنة ٦٤٧ قتل مؤلف هذا الكتاب .

قال ابن أبى شامة فى حوادث السنة المذكورة ما نصه : « فيها قتل فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ وهو آخر أخوته موتاً » ، وفى حوادث السنة عينها من النجوم الزاهرة ما نصه « توفى الصاحب فخر الدين يوسف صدر الدين بن شيخ الشيوخ أبى الحسن محمد بن حمويه الجوينى كان عاقلا جوادا ممدحا خليقا بالملك محبوبا إلى النـــاس ولما مات الملك الصالح نجم الدين أيوب على دمياط ، ندب إلى الملك فامتنع ولو أجاب لما خالفوه ، واستشهد على دمياط » وقال أيضا « ومن الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة ، الأمير مقدم الجيوش فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ صدر الدين الجوينى فى ذى القعدة شهيداً يوم وقعة المنصورة » وفى تاريخ أبى الفداء وابن الوردى مثل ذلك .

موضوع الكتاب : موضوع الكتاب أدبى بل هو سلسلة طويلة من المنظوم والمنثور ، ولك أن تقول إنه مقامة واحدة من هـــذه المقامات الأدبيـــة ، لم يراع فيها التنويع والتقسيم ، فلا عجب إذا اعترى قارىء الكتاب ضرب من السأم ، وإنما قلنا «مقامة» لأن المؤلف استهل الكتاب بقوله « حكى السرور ابن اللذة . قال كنت وشعلة جنون شبابى فى عنفوانها وصحيفة عمرى لم أقرأ منها غير عنوانها » وهذه العبارة شبيهة ببعض عبارات الحريرى وغيره من أصحاب المقامات ، والمقامة كلها قحة من أولها إلى آخرها ، فاضت بضروب الفحش والمجون الذى لا يستساغ نشره فيما أرى وإن نشر الناشرون ما هو أســـوأ منه وقد حاول المؤلف فى مواضع عدة من الكتاب ، تأكيد سلامة نيته . وحسن قصده

فى مجونه وعبثه الفاحش ، وأن ذلك مجرد أقوال لم تقترن بأعمال وأفرد فصولا أخرى فى أول الكتاب وآخره للدفاع عن نفسه والاعتذار عن شطحاته وبدواته ، وعرض ببعض خصومه الذين نسبوا إليه الجحد ، ورموه بسوء القصد وزعم أنه نسج على منوال البلغاء ، فما وضعوه من الكلام منسوباً إلى الجمادات أو ما عزوه من الحكم إلى الحيوانات مثل ماجاء فى كتاب «كليلة ودمنة» وكثير من المقامات وقد يكون هذا العذر مقبولا لولا أن الجوينى أسرف –والحق يقال– وأفرط فى تماجنه وخلاعته من هذا القبيل ، ومع ذلك فان وجه الانتفاع بنشر جانب من هذا الكتاب ظاهر لعناية المؤلف بتدوين المصطلحات الحرفية الشائعة فى عصر على وجه لم يسبق له مثيل .

فى مطاوى كتاب تقويم النديم مجموعة ألفاظ ومصطلحات كانت تدور على ألسنة المصريين فى عصر الدولة الأيوبية ، وقد عنى المؤلف عناية خاصة بتدوين هذه الألفاظ أو المصطلحات الأيوبية وإنما قلنا «ألفاظ أيوبية» مع أنها لا تخلو من ألفاظ عباسية أو فاطمية ، من باب التغليب أو لأنها أوضاع شاع استعمالها فى العصر المذكور بطريقة الاشتقاق أو التوليد أو التعريب أو بطريق من طرق المجاز أو الاستعارة .

قد يكون حفظ هذه المصطلحات وإضافتها إلى تراثنا اللغوى إحدى غايات هذا الأديب من إنشاء هذه المقامة ، كما كان حفظ أوابد العربية إحدى غايات الحريرى من إنشاء المقامات ، وبعض هذه الألفاظ أو المصطلحات من أوضاع المصريين فى اللغة أو من مصطلحاتهم المولدة .

شاعرية الجوينى : والقريض فى هذا الكتاب كثير وأكثره من إنشاء المؤلف وهو مدمج فى النثر فالجوينى شاعر وشعره فى طبقة نثره وله طريقة خاصة فى اختيار شواهده الشعرية شرحها فى آخر كتابه ولايخاو أسلوبه من تصنع فى المنظوم والمنثور .

المصطلحات الحرفية فى الكتاب :

تصفحت الكتاب فعثرت فيه على مجموعة من المصطلحات والألفاظ الحرفية التى شاع استعمالها فى دواوين الدولة الأيوبية ، وعلى ألسنة الجمهور والكتاب فى مصر وما إليها من البلاد وقد وجدت أن أصول كثير منها فصيحة بل عريقة فى الفصاحة فى تلك العصور ولم أجد لبعض ألفاظه ذكرا فى المعجمات ، إما لأنها ألفاظ مولدة ، أو أوضاع حادثة فى العصور الأيوبية ، ولم أنقل كل الألفاظ أو المصطلحات الواردة فى الكتاب ، لكثرة المسخ والتحريف فى نسختى منه ، وليس فى وقتى الآن متسع للمقابلة والتحقيق ، ولذلك عنيت بنقل نموذج من ألفاظ الكتاب مع شرح موجز وإيضاح لمعانيها أحياناً ، وأما البحث فى أصول تلك الكلمات ونقل مذاهب اللغويين وأحكامهم فيها وفى جواز استعمالها فان له وقتاً آخر والأمور مرهونة بأوقاتها ، وهذه هى مصطلحات الكتاب .

الفلاحة والزراعة وما يتصل بالملاحة :

جزان . مشاق . قلفاط . جسار . مرابع . فلاح ريس قرقورة وطراح . مفرك ودقاق

قفاص . قفاف . خواص . تبار . **علاف** . ناخوذاه . وربان .

جران — صانع الأجران .

مشاق وقلفاط — من الألفاظ الداخلة فى صناعة السفن .

جسار — القيم على الجسر ، وهى شائعة إلى اليوم فى العراق فيقولون : « جسّـــار » للقيم على الجسر أى (الكوبرى) باصطلاح المصريين اليوم والكوبرى تركية ولا تستعمل فى العراق والشام .

مرابع وفلاح — الفلاح معلوم وأما المرابع فالغالب أنه الفلاح أو الأجير الذى يأخذ ربع الغلة ولا أدرى أهى شائعة فى مصر اليوم أم لا .

«ريس قرقورة» وطراح — قال الخفاجي فى شفاء الغليل قرقور ضرب من السفن تكلموا به قديما، هذا كل ما ورد فى « شفاء الغليل » وقال الجواليقى فى «المعرب من كلام العجم »، القرقور ضرب من السفن أعجمى وقد تكلمت به العرب ، وزاد ابن دريد أنه ضرب من السفن كبار ، وفى «اللسان»، قيل هى السفينة العظيمة الطويلة ، والقرقور أطول السفن وجمعه قراقير . أما الطراح فالأغلب أنهم كانوا يستعملونها فى العصر الأيوبى بمعنى الملاح وما الى ذلك .

مفرك ودقاق — المفرك هو الذى يفرك الحب قال فى القاموس أفرك الحب آن له يفرك واستفرك فى السنبلة سمن واشتد وفرك السنبل دلكه فانفرك . وأما الدقاق فهو بائع الدقيق قال الفيروزابادى ، الدقيق الطحين وبائعه دقاق ، ومن ذلك يعلم أن أفصح الألفاظ والمصطلحات كانت تدور على ألسنة جمهور المصريين فى عصور الدولة الأيوبية .

قفاص . قفاف . خواص — القفاص صانع الأقفاص والواحد قفص وهو الذى يحفظ به الطير وغيره والقفص أيضا أداة زراعية ينقل بها البز الى الكدس . والقفاف صانع القفاف أو بائعها واحدتها قفة بالضم وهى معروفة كهيئة القرعة تتخذ من الخوص والخواص قال المجد الفيزوزاباى الخوص (بالضم) ورق النخل ، والخواص بائعه ومما يستدرك عليه إناء مخوص فيه على أشكال بائع الغلف قال فى القاموس وهما لفظان شائعان فى مصر الآن .

ناخوذاه وربان — ناخوذاه فارسية معربة استعمالها شائع فى العراق من القديم الى اليوم بمعنى ربان السفينة ولكنهم يقولون الآن « نوخذه » والظاهر أنها كانت معروفة فى مصر أيضا بالمعنى المذكور على عهد الأيوبيين قال المجد الفيروزابادى فى مادة « نخذ » « النواخذة » ملاك سفن البحر أو وكلاؤهم معربة الواحدة « ناخذاه » اشتقوا منها الفعل وقالوا تنخذ كترأس .

الفاكهة والمأكول والمشروب

مواز . قماح . تمار . رزاز . لبان . سماك . جبان . سمان . هراس . شواء . قلاء . قراب . مزار . عكار . بداد .

من ألفاظ الكتاب فى هذا الباب مواز وقماح وتمار ورزاز لباعة الموز والقمح والتمر والرز ومن ذلك لبان وسماك وجبان وسمان وهراس وشواء وقلاء والألفاظ الأخيرة شائعة فى أقطار الشرق العربى إلى اليوم .

قراب : الغالب أنه صانع القرب جمع قربة أو من يمتهن سقى الماء من القربة وهى صيغة مولدة وجائزة يكون المقصود به صانع العمد أو القراب .

مزار — بائع المزر نبيذ الذرة أو الشعير .

عكار — لبائع العكر وهو النخالة .

بذاذ — العامل فى البد وهى معصرة الزيت قيل انها مصرية ولكن شائعة الآن بمعنى آخر.

البناءون وما يتصل بالبناء

طواب . عجان . خراط . جباس . جبان . مبلط . مرخم . مصور . دهان .

طواب — صانع الطوب أو الطوبة لغة شامية أو مصرية بمعنى اللبن عندنا فى العراق وهو هذا الطين المضروب للبناء .

عجان — ورد فى الكتاب مرادفا لكلمة طواب وقد يراد به من يعجن الطين أو غيره من مواد البناء .

خراط — من خرط العود اذا قشره وسواه وحرفته الخراطة وهى معروفة بهذا المعنى الآن .

جباس وجبان — الجباس هو العامل بالجبس أى الجص والجبان فى العراق هو الذى يجبن الجص ويحمله الى البناء والكلمة شائعة على ألسنة العراقيين اليوم .

المبلط — عامل حرفته فرش الدار بالبلاط والبلاط الحجارة التى تفرش بالدار وكل أرص فرشت بها أو بالآجر يقال بلط الدار وأبلطها وبلطها فرشها به . والكلمة معروفة الآن فى البلاد المصرية .

المرخم — وزان المبلط وهو الذى يعمل فى البناء بالرخام ولا يوجد فى المعجمات وفى مصر الآن يقولون المرخمانى — المعنى المذكور —

مصور — دهان : معروفان .

حرف الجوهريين والمعدنيين

ذهبى . مداد . سكاكينى . براد . مبيض . نحاس . صيرفى . نقاد . مرصص . سباك . حجار . طلاع . نشار . حكاك . قفال .

الذهبى — بائع الذهب أو الحلى الذهبية

مداد — هو الذى يمد الذهب أو يبسطه ويسويه(من الأوضاع اللغوية المولدة فى عصر الأيوبيين) .

قفال — صانع الأقفال أو بائعها .

البراد — فى حرفته برد المعادن من ذهب وفضة وحديد وبردها عبارة عن قشرها أو نحتها والمبرد آلته والبرادة هى نخالة المعادن المبرودة .

صيرفى . نقاد : معروفان .

مرصص — عامل حرفته طلى الأشياء بالرصاص ، قال المجد الفيروزابادى شىء مرصص مطلى بالرصاص .

سباك — أصله من سبك المعدن أذابه وأفرغه وهى معروفة الآن .

مبيض — أصله من بيض ضد سود والمراد به على الأكثر مبيض المساكن والبيوت بالجص والبورق وفى العراق يطلقون هذه الكلمة الآن على الماهن الذى يبيض الأوانى بالقصدير .

الحكاك — يطلق فى العراق على من يسوى فصوص الخواتم والقلائد وما إلى ذلك ولا يعلم المراد منه فى هذا الكتاب .

الحرب والسلاح

رماح . زراد . نشابى . قواس . تراس . سياف . صيقل مشاعلى . نفاط . جرخى زراق .

رماح — الرماح متخذ الرمح وحرفته الرماحة قاله المجد الفيروزابادى فى القاموس والرماحة أيضاً فرقة عسكرية تحمل الرماح .

زراد — الزراد صانع الزرد والزرد هى الدرع المزرودة .

النشابى — نسبة إلى النشاب والنشاب النبل والنشـاب بالفتح متخذه وقوم نشـابة يرمون به .

القواس — صانع القوس أو الذى يتخذ القوس سلاحاً له .

تراس — صاحب الترس أو صانعه والتراسة صنعته .

الحيـوان

فهاد . دباب . قراد . لسائس الفهود والدببة والقرود .

كباش . حمار — صاحب الكباش والحمير قال فى القاموس الحمارة أصحاب الحمير كالحامرة وهى شائعة فى أقطار الشرق العربى اليـوم .

المطير . طيورى — الذى يلعب بالطيور والصيغة الأولى شائعة فى العراق اليوم .

البراج — القيم على الأبراج والمقصود بها هنا الأبراج التى تتخذ للطيور .

كلابزى — قال فى «شفاء الغليل» الكلابزة هى معرفة حال الكلاب السلوقية منسوبة إلى سلوق بأرض اليمن . قيل إن الكلمة مصرية .

بزدار — صاحب الباز أو الخبير بطباعه وإعداده للصيد (معرب) كما فى الصحاح .

ويقال بيزار وجمعه بيازرة قال فى الشفاء تصرف فيه المولدون حتى قالوا لصناعته (بيزرة) أو (بزدرة) كما فعلوا فى البيطرة وقد وضعت فى هذا الفن كتب بعضها يسمى (كتاب البيزرة) وعندى شىء منها ويراجع عن هذه المادة كتاب المعرب للجواليقى والتذكرة للأنطاكى .

ألقاب الخـدم

البلان — أصل هـذه الكلمة من مادة البلل وكانت شائعة قديمة بمعنى الحمام ذكرت

مرتين فى القاموس فى حرف اللام وفى مادة (البلل) قال المجد الفيروزابادى «البلان كشداد الحمام جمعه بلانات » وقال أيضاً فى حرف النون «البلان كشداد الحمام»وذكر فى اللام و«مجمل القول أصل هذه المادة من البلل » ولكن المجد الفيروزابادى لم يخلص إلى رأى معين فى أصالة النون أو زيادتها بيد أن الشارح تدارك ما أهمله الماتن وهاك ما قاله الزبيدى فى التاج: « البلان » كشداد الحمام جمعه بلانات والألف والنون زائدتان وإنما يقال دخلنا البلانات عن أبى الأزهر ولأنه يبل بمائه أو بعرقه من دخله ولا فعل له وفى حديث ابن عمر ستفتحون أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها البلانات من دخلها ولم يستتر فليس منا قلت ـ والقول للزبيدى ـ وأطلق الآن البلان على من يخدم فى الحمام وهى عامية » .

وعاد الزبيدى شارح القاموس إلى شرح الكلمة مرة أخرى فى باب النون فقال « البلان » كشداد أهمله الجوهرى وقال ابن الأثير هو الحمام ومنه الحديث ستفتحون بلاداً فيها بلانات أى حمامات قال والأصل بلالات فأبدلت اللام « نوناً » .

هذا وفى عصر المؤلف وهو عصر بنى أيوب شاع استعمال هذه الكلمة بمعنى خادم الحمام أو الدلاك ومن رأى بعضهم أن أصل الكلمة من اليونانية وإلى هذا ذهب اللغوى العراقى أنستاس الكرملى وليس بشىء إذ لايخامرنى أدنى شك فى عروبة هذه الكلمة وفى مصر اليوم يقال للماشطة التى تزين العروس ليلة البناء (بلانة) على ما رواه لى بعض أدباء القاهرة .

الوقاف ـ تطلق هذه الكلمة فى العراق اليوم على الرقيب الذى يقف مع الأجير وهو معناها على الظاهر فى عصر مؤلف الكتاب فهى كلمة مولدة وكلمة (الوهين) فى الفصحى تسد مسد هذه الكلمة قال الفيروزابادى : الوهين رجل يكون مع الأجير فى العمل يحثه عليه .

هذا طرف من الألفاظ والمصطلحات اللغوية التى وجدتها فى كتاب تقويم النديم ولم آت على كل ما يوجد فى تضاعيف الكتاب من هذا القبيل أو من الأوضاع اللغوية التى كانت شائعة فى عصر الدولة الأيوبية . فالكتاب مفيد كل الفائدة لمن يعنى بالبحث عن المصطلحات والألفاظ الحرفية فى العربية الفصحى أو فى اللهجات العربية الشائعة فى أقطار الشرق العربى ويستفيد منه مضافاً إلى ذلك من يعنى بتأريخ العمران والحضارة فى مصر الإسلامية .

هذا ومن رأيى أن وزارة المعارف تحسن صنعاً إذا عهدت بنشر هذا الكتاب بعد تحقيقه وتهذيبه إلى لجنة من اللجان المعنية بنشر المخطوطات النادرة . والغالب أن الوزارة المشار إليها تعنى الآن بالنظر فى وجوه الاستفادة من هذا الكتاب .